تفسير إبن كثير

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ

وقوله : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) ، وهو : بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ، (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) أي : استجيبا لأمري ، وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين .قال الثوري ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله [تعالى] (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها) قال : قال االله تعالى للسموات : أطلعي شمسي وقمري ونجومي . وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك . فقالتا : (أتينا طائعين)واختاره ابن جرير - رحمه االله .(قالتا أتينا طائعين) أي : بل نستجيب لك مطيعين بما فينا ، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعا مطيعين لك . حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال : وقيل : تنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما .وقيل إن المتكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ، ومن السماء ما يسامته منها ، واالله أعلم .وقال الحسن البصري : لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه . رواه ابن أبي حاتم .